تعليم الكنيسة في الصلاة على الراقدين

لا تزال مسألة الموت الجسدي أهم عدو يواجه الإنسان، وهو آخر عدو سيبطل (كورنثوس الاولى 15: 26) . وكل يوم يطالع القاريء المسيحي بعضاً من المقالات أو يسمع بعضاً من الأقوال التي تروج لها بعض الشيع الفاسدة والزائغة عن الإيمان ، بأن الموتى فقدوا بموتهم كل أمل بالخلاص، و...أن من لم يعمل على خلاص نفسه في حياته فكل " صلوات الكنيسة " لا تنفعه.

وهذه الأقاويل التي تروج لها تلك البدع تؤلم بعضاً من الناس الذين فقدو للتوّ أقارب أعزاء أو أصدقاء محبوبين، فيتساءلون هل فقد هؤلاء الأحباب كل أمل بأن يخلصوا ؟ وتكبر دائرة الألم والحزن وتتسع لتلهم أصحابها في يأس لا ينتهِ.

كثر الحديث في فائدة الصلاة من أجل الراقدين في هذا المنتدى وغيره من المنتديات ولأن في الإعادة فائدة ونزولاً عند رغبة بعض الأحباب معنا رأيت أن أعيد تجميع بعض ما كتب سابقاً بهذا الخصوص.

لماذا نذكر أسماء الراقدين أثناء تحضير الكاهن للذبيحة الإلهية ؟

اسماء المتوفين يتم ذكرها فوق المذبح المقدس أثناء إعداد القرابين المقدسة قبل بدء خدمة القداس الإلهي ، وهو ما يسمى " رفع الأجزاء " .. فقبل بدء القداس ياتي الكاهن بخمس قرابين ويرفع منها الأجزاء الخاصة بالسيد والسيدة والقديسين والرسل والشهداء

والآباء ... إلخ ، ومن بين الأجزاء المرفوعة أجزاء عن الأحياء وأجزاء عن الأموات السابق انتقالهم من آبائنا وأخوتنا

هذا الترتيب الذي تقوم به الكنيسة الأرثوذكسية يُظهر وحدة الكنيسة المنظورة والغير منظورة ، بأحيائها وبالسابق رقادهم من أبنائها ، فالكل واحد في المسيح يسوع ، في تلك الكأس المشتركة " كأس الشركة " التي يتناول منها كل المؤمنين والتي تبين وحدة الكنيسة مع بعضها وفي المسيح يسوع ..

نحن نؤمن بأن الذين سبقونا من آبائنا وأخوتنا قائمون في حضرة الرب إلى يوم مجيئه الثاني ، وهم يصلون معنا وحاضرون معنا في كل حين، وايماننا هذا ليس قائما على عواطف بل على ما جاء في الكتاب المقدس نفسه والذي يدعي أولئك المنحرفون أنه مصدر تعليمهم . لقد منح الرب يسوع لكنيسته من خلال الرسل القديسين سلطة غفران الخطايا " من غفرتم خطاياهم تُغفر لهم ، ومن امسكتم خطاياهم أُمسكت " ، ولكن لا يوجد غفران خطايا بدون توبة مرافقة .. لهذا فالمطلوب من الخاطيء أن يتوب أولاً ثم تأتي المغفرة كنتيجة للتوبة.

الكنيسة تصلي للرب من اجل الراقدين من ابنائها ، وهذا واجبها " صلوا لأجل بعضكم بعضاً " (يعقوب 5: 16) ولكن مسألة غفران الخطايا ومن يستحق ذلك ، ومن هو التائب الحقيقي هي بين يدي الرب لأنه الديان الوحيد .. الكنيسة تصلي وتؤمن بأن أحكام الرب هي عادلة وهي حق .. وهي تترجى دخول الكل في ملكوته .

الكنيسة لا تصلي من اجل الراقدين بهدف ثني الله عن قراره بشان كل شخص منتقل ، فالله هو القادر اولاً وأخيراً على الحكم بعدل وحق على كل شخص .. هو الديان الوحيد

وهو وحده من سيدين ..

ولكن كنيستنا تؤمن أن " الله إله احياء وليس إله اموات " فلا يوجد فصل في المسيحية بين راقد و حي، الكل في كنيسة الله أحياء مصلين من أجل بعضهم البعض.

بل إنه من واجب المحبة التي يتحلى بها أبناء الله أن يصلوا بعضهم لاجل بعض : الذين في العالم والمنتقلين عنه ، الجميع في حالة صلاة دائمة وكلهم إيمان بأن عدالة الرب هي التي ستكون ولا يوجد ما يفوقها على الإطلاق.

وقد عبَّرَ الرب عن هذه الحالة،التي ندعوها موتا بقوله: "فمات المسكين وهو اليعازر"المسكين بالروح" (راجع مت3:5),- "فحملته الملائكة الى حضن ابراهيم . ومات الغني ايضا ودفن . فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب" (راجع لو22:16).فقد انتقلا هؤلاء ايضا، بواسطة الذي ندعوه موتا، من الحياة الدنيا على الارض الى حياةٍ أخرى في مكان آخر. هو المكان اللذان كانا قد اعداه لنفسيهما في حياتهما على الارض.

تشير الكنيسة الارثوذكسية في صلواتها الى الموت كَـ "رقاد", لأنها تؤمن "بالوجود الشخصيّ بعد الموت", وهي ترجو لجميع الراقدين النهوض (القيامة من بين الاموات) عندما يبزغ النهار"الذي لا يعروه مساء", وفي ما تَذْكُرهم في كل ذبيحة إلهية تتضرع الى الله الآب أن يرحمهم: "حيث يُفتقد نورُ وجهه".

السؤال المطروح هو: على ماذا تستند الكنيسة عندما تصلّي للذين رقدوا بالإيمان والرجاء؟

ثمة مبدأ وأوّلي ننطلق منه لنجيب عن هذا السؤال, وهو أن فاعلية أية صلاة غير قابلة للتفسير العقلي.

فإذا كانت الصلاة واجبة من أجل "بعضنا البعض", كما يقول يعقوب الرسول (5: 16), وهي حياة الكنيسة في كل عصر, لأنها تُرفع من أجل "كل شيء" – مرض, شدة, ضيق, سجن, كرازة رسولية...- (راجع 2 تسالونيكي 1: 11 –12: أفسس 6: 18 – 19...), فهي واجبة تالياً من أجل الذين سبقونا (الراقدين) . ذلك أن وحدة

الشركة في جسد المسيح لا يَقْصم الموت عُراها (يوحنا 10: 28 – 30؛ رومية 8: 38 – 39), وإلا يكون الموت المغلوب على الصليب غَلَبَ قوة الله وأعني قيامته التي نالها المؤمنون سريا في المعمودية.

فنحن نصلّي للآخر الذي نحبّه ونحن وإيّاه أعضاء في جسد المسيح الواحد, وهذا يتجلّى بشكل رائع في الحياة الليتورجية في ما أَسْمَتْهُ الكنيسة الارثوذكسية ب"شركة القديسين", حيث الكنيسة جمعاء تصلّي – وليس فقط الأحياء – وهذه الشركة هي "سلسلة", كما يصفها القديس سمعان اللاهوتي الحديث, من الصلاة والمحبة المتبادلة.

الأب ألكسندر شميمَن في كتابه "الصوم الكبير" يركّز على السبب الذي تدعو الكنيسة فيه أعضاءها الى الصلاة من أجل الراقدين بقوله:"هي تعبير جوهريّ عن الكنيسة كمحبة", ويتابع قوله: "اننا نطلب من الله أن يذكر الذين نذكرهم, ونحن نذكرهم لأننا نحبّهم. وإذ نصلّي من أجلهم فنحن نلقاهم في المسيح الذي هو محبة, والذي بما أنه محبة يغلب الموت الذي هو ذروة الانفصال واللا محبة. في المسيح لا فرق بين الأحياء والأموات لأن الجميع هم أحياء فيه. انه الحياة وهذه الحياة هي نور الناس. واذ نحب المسيح نحب جميع الذين فيه, وإذ نحب الذين فيه فنحن نحب المسيح".

بيد أن كلمة الله التي هي مثلنا ترشدنا الى الحقيقة الكاملة, فنرى الرسول بولس نفسه يصلّي من أجل أحد الإخوة الذين رقدوا بالرب، اذ يقول: " ليعُطِ الرب رحمةً لبيت أُنيسيفورس لأنه مراراً كثيرة أراحني ولم يخجل بسلسلتي, بل لما كان في رومية طلبني بأوفر اجتهاد فوجدني. ليعطِه الرب أن يجد رحمة في ذلك اليوم" (2 تيموثاوس1: 16-18). اسم "أنيسيفورس" يَرِدُ في الرسالة ذاتها مرة ثانية وهو مضاف الى "بيته"(4: 19). على الغالب هو راقد بالرب, ويطلب الرسول له الرحمةَ" في ذلك اليوم" اي في يوم الدينونة.

فنحن, اذاً, أمام مسلّمة رسولية لأجل الصلاة للراقدين. في احدى عظاته يقول فيلاريت

متروبوليت موسكو(القرن التاسع عشر) بأن الصلاة من أجل الراقدين جارية في الكنيسة منذ القدم "منذ أن مورسَتِ العبادة علناً... وهي مفروضة فيها كجزء كان دائما متمِّما لها. وكلّ الخدم القديمة للقداس الإلهي تشهد بذلك, ابتداء من قدّاس الرسول يعقوب أخي الرب..."، ويؤكد, في ختم قوله, أن الصلاة من اجل الراقدين " كانت من التقاليد الرسولية".

تصلّي الكنيسة من أجل المؤمنين الراقدين وتعتبر أن الصلاة تساعدهم (يوحنا الذهبي الفم, غريغوريوس اللاهوتي, كيرلّس الأورشليمي...),

الآباء القدّيسون صوّروا الحياة بعد الموت وكأنها فترة يخلع فيها تدريجيا جميع الذين أدركوا أن كل شيء قد أكمل لأجلهم كلَّ خِرَقِهم البالية في طريقهم الى ملء استعلان القيامة.

يقول كوستي بندلي في كتابه "الله والشر والمصير": "إن الموت يقيم جدارا رهيبا من الصمت بين المحبّين, ولكن حاجز الموت, مهما علا, لا يصل الى الله الآب, وهو وحده يُسقط المسافات والحواجز و"يُعِين ضعفَنا" ومحدوديتنا و"يشفع فينا بأنّات لا يُنطَق بها".

ما لا شك فيه أن صلاتنا من أجل أحبائنا الراقدين ليست هي تدخُّلا بقرار الله وقضائه الأخير, فنحن نؤمن بأن حكمته الأزلية ليس للإنسان مهما علَتْ قداستُهُ أن يخترقها، وإنما أن يخضع لها.

غير أن المسيحية لكونها ديانة المحبة, ونحن جميعا أعضاء في جسد المسيح الحيّ الذي لا يستطيع الموت ولا اي شيء آخر أن يُبطل عضويتنا فيه, فالصلاة التي هي لغة الحبّ – اولاً وآخراً – هي التعبير الامثل على أن "المحبة أقوى من الموت", واننا فيها نتمم الغلبة الأخيرة, لأن الموت المهزوم بات وراءنا, وليس أمامنا سوى الكنيسة الحيّة الأخيرة التي نحن فيها منذ الآن.

ماذا بعد الموت الجسدي؟

ببساطة واختصاراً لكل ما سيتقدم من فلسفة اللاهوت نجد الجواب ببساطة في خدمة نياحة الراقدين في الكنيسة الأرثوذكسية :

" أيها المخلص أرح نفس عبدك في راحتك حيث الصديقون يستريحون ورتّبهُ للحياة السعيدة التي من قبلك يا محب البشر " ..فالكنيسة إذ تجتمع مع عائلة الراحل لكي تودعه بالصلاة أن يأخذه المسيح إلى راحته، لهي تعبير عن ثقتنا بأن الرب سيفعل ما وعد به " من كان حياً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد "

الكنيسة لا تدعو الشخص ميتاً بل راقداً أو متنيحاً أو منتقلاً على رجاء القيامة والحياة، وفي ذلك اعتماد على الكتاب المقدس من قول السيد عن الصبية التي أقامها من الموت طابيثا " ليست ميتة ولكنها نائمة "، وحتى اليوم عندما نتكلم كمؤمنين عن ذلك ونقول أنهم راقدون أو نائمون يضحك غير المؤمنين علينا ساخرين كما فعلوا يومها مع يسوع المسيح، ولكن طابيثا قامت، والراقدون سيقومون كذلك . .. لهذا فالكنيسة تصلي لهذا المنتقل لأنه لا يزال حياً في راحة الرب ولا نراه " الله إله احياء وليس إله أموات " ، ولهذا نصلي مع القديسين ولأجل لقديسين لأننا متأكدون انهم احياء لدى الرب " إله أحياء " وهنا في إشارة واضحة للآباء الراقدين منذ أمد طويل " إله ابراهيم وإسحق ويعقوب .. " .

أما لاهوتياً فيمكننا أن نقول :

مازال الموت يستمر أن يكون سرًا، بكل مايُرافقه ويحيط به. كثيرون ممَّن تعثرهم

ظاهرة الموت، يتساءلون: " كيف يمكن أن تؤول صورة الله مع الموت إلى الفساد... والإنسان بالموت يؤول إلى حالة الفساد " . الإنسان بطبيعته ينفر من الموت، لأن هناك، في داخله شعلة الخلود والأبديّة.

إن واقع موت الإنسان يعود إلى سببين، أولاً إلى الخطيئة، وثانيًا إلى عدم التوبة. يقول القدّيس سمعان اللاهوتي الحديث: " لو قال آدم: "حقًا ياسيد، قد خالفت وصيتك، خطئت، سمعت نصيحة المرأة وخطئت كثيرًا، فعلتُ بحسب ما قالته لي وخالفت وصيتك، سامحني ياسيد واغفر لي"، لكان خلص. ولكان حفظ خلود النفس والجسد. يفسر آباء كنيستنا هذا الاصطلاح بخاصيّة الفناء. الفساد والفناء اللّذان هما نتيجة خطيئة الجدّين الأولين وثمنها، هما الألبسة الجلديّة التي سُربل بها البشر بعد الخطيئة. ويعلّم القدّيس مكسيموس المعترف أنّ الموت الحقيقي هو الانفصال عن الله. فالموت الروحي إذًا هو الموت بالمعنى الوضعيّ للكلمة. إلاّ أنّ البشر لا يعطونها الأهمية الواجبة كتلك التي يعطونها للموت الجسدي. من خلائق الله الأولى مات الشيطان روحيًا، عصى الله وتمرّد عليه. يتكلّم القدّيس غريغوريوس بالاماس على هذا الموت الأول ويقول إنّ الشيطان أول من خضع له.

إذاً عندنا الموت الروحي والقيامة الروحية، عندنا الموت الجسدي مع القيامة الجسدية. أيّ أننا نموت أولاً روحيًا وإذا أردنا أن نقوم روحيًا فباشتراكنا بأسرار الكنيسة. بينما سنقوم بعد الموت الجسدي جسديًا في المجيء الثاني. لذا يقول القدّيس بولس: "آخر عدو يبطل هو الموت". لدينا اليوم الموت الجسدي، لكن قد لا نملك الموت الروحي. الموت الجسدي وقتيّ، لهذا يجب ألاّ نتكلم على موت وأموات، بل على نوم وراقدين، هذا هو إيماننا الجامع لذلك نحن لا نتكلّم على مقابر بل على مراقد.هناك تسبحة رائعة في يوم الجمعة العظيمة تقول: "الجحيم لا يملك ولا يسود أبدًا على جنس البشر"، أيّ إنّ الموت يسود بشكل مؤقت لكنه لا يشكّل حالة ثابتة أبديّة.

تصلي كنيستنا المقدّسة أولاً لأن تكون "أواخر حياتنا مسيحيّة" وطبعًا "بلا وجع ولا

خزي، وبسلام"، هذا ما تعبّر عنه الصلاة أيّ الرغبة التي نصلّي بها ليهبنا الرّب نهايات مسيحيّة. أيّ نطلب من اللّه أن نموت "بسلام" في إيماننا.

إذاً لدينا الجسد والنفس اللذان بهما معًا نتابع جهاد الفضائل، وبكليهما أيضًا نخطأ، لذلك يكون حكم اللّه بهذين العنصرين، إما أن يخلصوا وإما أن يدانوا أبديًا بقيامة الأجساد التي ستحدث مع بوق الملائكة عندما يبوّق قبل الحضور الثاني.

أين تذهب النفوس ؟

كما قال القدّيس أثناسيوس الكبير: "إنه سرٌ غريبٌ ورهيب، مخفي عن البشر".

لكن استنادًا إلى الكتاب المقدّس والتقليد الآبائي فإنه يتكلم عن الجحيم، فيجعلنا نفهم أن هناك مكانًا حيث تتكدس فيه نفوس الخطأة، فيه يسود الظلام والضباب. يتكلّم الكتاب المقدس على الفردوس أنّه مكان انتظار الأبرار بعد الحضور الثاني.

القدّيس أثناسيوس الكبير أغنى هذا الموضوع بقوله لنا: "نفوس الخطأة موجودة في الجحيم، أما نفوس الأبرار فهي قرب اللّه، بعد حضور الرّب الثاني ستوجد في الفردوس". فما هما هذان المكانان اللذان تقاد إليهما النفوس بعد الرقاد؟

اللّه خارج الزمان والمكان. وبالتالي بُعدا المكان والزمان لا يتلاءمان مع الحياة الروحية الكائنة بعد الموت. بل يتلاءمان مع هذه الحياة الأرضية. سنقع في الكتاب المقدس على تعابير تعطينا انطباعًا بأنّها تتكلّم على مكان ما، مثلاً:

Δικαψυχαί ων χεί θεοίεν ύρι"، أيّ نفوس الأبرار موجودة " في العهد القديم في يديّ اللّه. أترى لله أيدٍ؟ النفوس لا تشغل مكانًا، ليس لها هيئة. في مثل الغني ولعازر، ربنا نفسه يقول: "إن نفس الفقير لعازر هي في أحضان ابراهيم "، وهذه خاصيّة بشريّة وتعبير بشري عاطفي، أيّ النفس موجودة في أحسن مكان. ما يمكننا أن نقوله هو أن نفوس الأبرار موجودة قربَ اللّه. فهي تعيش هناك. وكما يقول الذهبي الفم أيضًا، ينتظرون، ويعيشون في حالة ترقب.

بعد الموت، كلّ نفس تنتظم بطريقتها، بحسب أعمالها وبحسب أفعالها الصالحة أو الشريرة، في حالة مؤقتة. يقول الفيلسوف ايوستينوس الشهيد: "تنتظر نفوس المؤمنين في أفضل مكان، وتنتظر نفوس الأشرار والخطأة في أسوأ مكان، مترقبة وقت المجيء الثاني".

هنا مسألة مهمة، وهي أنَّ النفوس بحسب الطريقة التي عاشتها مع الجسد، تذهب إلى حالة حياة ووجود توافق طريقة عيشها في هذه الحياة. حالة الانتظار هذه تدعى الحالة الوسطى للنفوس.

الحالة الوسطى للنفوس

ماذا نعرف عن الدينونة الجزئية؟ إذا تذكرنا مثل الغني ولعازر، مذكور فيه أنّه حالما مات كلٌ من الغنيّ ولعازر أُدينا ووضعا في مكانين مناسبين. رأى الغني نفسه وسط جهنم النار وأمامه الفقير لعازر في أحضان ابراهيم. حدثت هذه الدينونة مباشرة بعد الموت وليس في المجيء الثاني، واُستنتجت هذه الدينونة من الحوار بين نفس الغني وابراهيم. رأى الغنيّ إلى أيّ حالٍ آلَ، ودعا ابراهيم أن يُرسلْ إلى الأرض لعازر الفقير ليذهب ويجد إخوته الذين مازالوا يعيشون على وجهها، وينبههم أن يغيّروا طريقة حياتهم، لكي لا يطرأ عليهم شيءٌ مما حدث لأخيهم. نستنتج من هذا التفصيل أن دينونة

الغني ولعازر هذه حدثت مباشرة بعد موتهم. أيّ أنه تحدث دينونة ما بعد الموت؛ ولكنّها وقتيّة. لأنّه بالمستقبل ستلحقها الدينونة الكبرى المصيريّة؛ التي ستحدث بالمجيء الثاني. عندئذٍ بقيامة الأجساد ستتحد الأجساد بالنفوس، الجسد والنفس سيظهران أمام الرب ليُدان الإنسان. في الدينونة الجزئية تُدان فقط النفس وليس الجسد الذي قد أُسلم للفساد، الدينونة الوقتيّة إذًا هي أول ميزة للحالة الوسطى.

حالة الانتظار

الحالة الوسطى من جهة أخرى هي حالة انتظار. تنتظر النفوس الدينونة النهائيّة، وبفضل رحمة الرّب الكبيرة وبعض الشروط الأخرى، أن تتحسن مكانتها كما يقول آباء كنيستنا .

سيقول أحدٌ، نحن سمعنا أنّه في الجحيم لا توبة، إذًا كيف يمكن أن تنتظر نفوس البشر التي ماتت تحسُّن مكانتها؟

في البداية يجب أن نقول إننا كلّنا نؤمن برحمة اللّه العظمى. اللّه الجزيل التحنن والمحبّ البشر والكثير الرحمة. نعرف من شهادة الرسول بطرس، في رسالته الجامعة أن ربنا في الثلاثة أيام التي مكثها في القبر، أي من صباح الجمعة العظيمة حتى صباح الأحد، نزل إلى الجحيم وهناك كرز للناس المضبوطين منذ الدهر ببشارة الخلاص والفداء. من قبلوا من هؤلاء كلمة الرّب فهم خلصوا، مع أنّهم في الجحيم. طبعًا، هذه الحالة تتعلق بالبشر الذين قد عاشوا قبل المسيح، وبالتالي بمن لم يحصلوا على فرصة أن يسمعوا تعليم الانجيل من فم الرّب أو الرسل القدّيسين. أكثر آباء كنيستنا يتكلّمون على عمل الرّب هذا بأنّه حدثَ مرةً واحدة ولن يتكرر مرة أخرى، لكن هناك آراء أخرى تستند إلى أنّه غير منطقي أن تتكرر هذه الكرازة لهؤلاء الذين في الجحيم، لكنّها ستتوجه فقط للذين لم يسمعوا في حياتهم هذه مطلقًا عن يسوع المسيح وعن بشارته. هؤلاء الناس من المعقول أن يُعطوا قبل أن يُدانوا بالمجيء الثاني إمكانية سماع كرازة المسيح كما نحن سمعناها. إن يؤمنوا يعتبر اللّه هذا التحوّل وإلاّ دينوا كمن لم يتوبوا إذ بقوا على حالهم.

نقدّم هنا رأي أحد أساتذة اللاهوت السيد ذيوفونيوتي، الذي علّم في بدء عصرنا: "ليس من إنسان عاقل يستطيع أن يشرح لماذا تمّت البشارة مرّة واحدة في الجحيم. وبحسب رسالة القدّيس بطرس "لأنّه لأجل هذا بُشر الموتى، أيضًا لكي يُدانوا حسب الناس بالجسد ولكن ليحيوا حسب الله بالروح"، في هذا المقطع إمكانيّة الكرازة بالانجيل، لكلّ الذين لم يسمعوا على الإطلاق ببشارة الرّب على الأرض". وبالتالي لانتكلّم على الخاطئين وغير التائبين دون استثناء، بل نتكلّم على أولئك الذين لم يسمعوا على الأرض شيئًا عن المسيح وعن بشارته. ندرك جميعنا أنّ مثل هؤلاء موجودون سواء أعاشوا في مكان بعيد لم يصل إليهم الرسل ليحدّثوهم عن المسيح، أم هم أناس متوحدّين منعزلين لم يسمعوا عن المسيح شيئًا على الإطلاق.

يدّعي اللاهوتيّون المتكلّمون بالعقائد في كنيستنا، أنّ النفوس الخاطئة، أيّ نفوس الذين ماتوا في الخطيئة غير تائبين، تستفيد من طلبات كنيستنا وصلواتها. يكتب في هذا الخصوص الاستاذ أندرياس ثيودورس أنّه: "لاتستطيع الطلبات والذكرانيات التي تقام أن تخلّص النفس غير التائبة، التي في المرحلة الوسطى والموجودة في غرفة انتظار الجحيم تتعذب بحسب الدينونة التي فرضها الله عليها". فإذا كنا نهتم بأخصّائنا الذين رحلوا عن هذه الحياة، نسأل هل آمنوا بأنّ المسيح هو الله وهو الفادي؟ ربما رحلوا متمسكين بعدم إيمانهم، غير تائبين، دون أيّ رجاء برحمة الله! لكن أيُّ إنسان يستطيع واثقًا أن يحكم على أحدٍ ما بأنّه كان غير مؤمن أو رجل غير تائب؟ الله وحده يعلم ما بداخل نفس كلّ شخصٍ، ذاك وحده يعرف المرء إن كان مؤمنًا أم ملحدًا. مرات كثيرة نخطئ الظن بأحد ما بسبب حركة منه أو تصرف ونقول أنه كذب علينا. كنيستنا لا تعرف داخل نفس كلّ إنسان، لكنها شفوقة تعتني بأولادها، تصلّي وتقيم الذكرانيّات لجميع الراقدين مُودعة بيديّ الله تحسّن كلّ إنسان عالمة أن كلّ الذين ماتوا هم في حالة انتظار وبالتالي ينتظرون دينونة الله الأخيرة، لكن من بعد هذا يجب أن نعرف واثقين بالله وأن لا نحل مشاكلنا بعيدًا عنه. فحالة الانتظار هذه هي الميّزة الثانية للحالة الوسطى.

تذوق الحياة الآتية

الميزة الثالثة للحالة الوسطى هي تذوّق مسبق سواء للمكافأة أم للنار. أيّ إنَّ الدينونة الجزئية التي تصير بعد موتنا تعطي النفوس إمكانيّة أن تتذوّق فرح المكافأة التي ستعطى بعد المجيء الثاني أو ألم العقاب الذي تنتظره. يؤكّد لنا القدّيس أثناسيوس الكبير أنّ الأناس الأبرار بعد موتهم يتذوّقون "بعض المُتع"، أما الخطأة "من بعض العذاب". أب كنيستنا نفسه يشرح لنا ماذا تعني عبارتا "بعض التمتّع"، و"بعض العذاب".

يدعو الملك أحداً لعشائه ويقول له: "يافلان، مساءً أنتظرك أن تأتي إلى القصر حيث سأهيئ عشاء"، الإنسان الذي تلقّى هذه الدعوة من اللحظة التي دُعي فيها إلى حين ذهابه إلى القصر ليتعشى مع الملك يشعر بفرح وارتياح داخليين، ويترقب متى ستحين الساعة ليذهب إلى هناك ويشعر بهذا المجّد والشرف، أن يُجالس الملك على المائدة نفسها. هذه هي الحالة الأولى حيث يتذوّق الإنسان الفرح.

من جهة أخرى، إذا فعلت شيئًا سيئًا وأوقفت لوقتٍ، وكنت مُزمعًا أن تمثلَ أمام القاضي الذي سيحاكمك، فهم سيسجنونك في معتقلٍ ويقولون لك: "يستوجب أن تنتظر اسبوعًا ليأتي القاضي لأنّه غائب". في هذه الفترة التي تتوسط الساعة التي أُوقفتَ فيها إلى الساعة التي ستظهر فيها أمام القاضي لتسمع العقاب، تشعر بحزن، أيّ تتذوّق مسبقاً المصيبة الآتية. هذا التذوّق المسبَق يتنوّع حسب الحالة. يقول القدّيس باسيليوس الكبير: "استمتاع الأبرار ستكون بدرجات مختلفة، وسيكون بمستويات مختلفة، أيّ أنّ اللّه سيشرّفهم كثيرًا، وآخرين قليلاً، لأنّ نجمًا يختلف عن آخر بالتألق والمجّد كما يقول الكتاب المقدّس. يقول القدّيس غريغوريوس اللاهوتيّ: "نفوس الأبرار تتأمل وتتذوّق مسبقًا الغبطة".

القدّيس الفيلسوف يوستينوس الشهيد يتكلّم على هذه النقطة: "تمكث نفوس الأبرار في أفضل مكان، بينما تمكث نفوس الخطأة في أسوأ مكان في انتظار الدينونة العظمى التي ستلي".

قيامة الأموات العامة

قيامة الأموات العامة هي عقيدة إيماننا، نقولها في دستور الإيمان "أترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي". في حياتنا هناك أربعة أطوار.

الطور الأول: هو حياتنا على الأرض.

الطور الثاني: هو ما بعد موتنا والمسمى الحياة الموسطى.

الطور الثالث: هو الحياة بحسب أجسادنا الناهضة من الموت.

الطور الرابع: هو حياة الدهر الآتي، عندها يبدأ سرّ "اليوم الثامن الأبدي".

لكن إذا كان أحدٌ يشك بقيامة الأجساد، فيتوجب أن نقول إنّ هذه القيامة لاشكّ حادثة لأنّ هذه العقيدة قالها فم ربنا الصادق. وبحسب الانجيلي يوحنا "الأموات سيسمعون صوت ابن الله والسامعون يحيون"، السيد نفسه يُكمل "لاتتعجبوا من هذا. فإنّه تأتي ساعة يسمع جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة".

قيامة الأجساد أعجوبة، ستكون أعجوبة بقوة الله. وكما أنّ البذرة تبذر في الأرض بالفساد، هكذا أيضًا جسدنا يُبذر بالفساد، دُفن وانحلَّ في الأرض ويجب أن يقوم ويرتفع بعدم الفساد. ستحدث هذه القيامة، كما يقول اقليمس الرومي، سواء تشتتنا في البحر، أم في اليابسة، أم قد قطعتنا الوحوش والطيور الجارحة، سينهضنا الله بقوته، لأنَّ كلّ

العالم يوجد في يده.

وهناك صورة بديعة في سفر حزقيال النبي تبين ذلك عندما كسى الله عظام الأموات لحماً بكلمة " كانت عليّ يد الرب فاخرجني بروح الرب وانزلني في وسط البقعة وهي ملآنة عظاما. وأمرّني عليها من حولها واذا هي كثيرة جدا على وجه البقعة واذا هي يابسة جدا. فقال لي يا ابن آدم أتحيا هذه العظام. فقلت يا سيد الرب انت تعلم. فقال لي تنبأ على هذه العظام وقل لها. ايتها العظام اليابسة اسمعي كلمة الرب.هكذا قال السيد الرب لهذه العظام. هانذا أدخل فيكم روحا فتحيون... فتنبأت كما أمرت وبينما انا اتنبأ كان صوت واذا رعش فتقاربت العظام كل عظم الى عظمه. ونظرت واذا بالعصب واللحم كساها وبسط الجلد عليها من فوق وليس فيها روح. فقال لي تنبأ للروح تنبأ يا ابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب هلم يا روح من الرياح الاربع وهبّ على هؤلاء القتلى ليحيوا. فتنبأت كما امرني فدخل فيهم الروح فحيوا وقاموا على اقدامهم جيش عظيم جدا جدا. ثم قال لي يا بن آدم هذه العظام هي كل بيت اسرائيل. ها هم يقولون يبست عظامنا وهلك رجاؤنا. قد انقطعنا. لذلك تنبأ وقل لهم. هكذا قال السيد الرب. هانذا افتح قبوركم واصعدكم من قبوركم يا شعبي وآتي بكم الى ارض اسرائيل ... " (حز 37: 4 ...).

نحن لا يعنينا تاريخ اسرائيل كدولة وكبشر، ولكننا نقرا العهد القديم ونؤمن أن إسرائيل تعني الشعب المؤمن ، شعب الله، وأرض الميعاد هي الملكوت السماوي الذي به وعد الله كل محبيه وخائفيه ...